View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by DSpace University of Palestine

منهج ابن تيمية في الاستدلال بالقراءات القرآنية على قضايا العقيدة

الباحثان
وليد محمد العمودي
محمد عمر العزامي

مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات - المجلد الثامن - العدد الثاني يونيو 2018

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة التي بعنوان: (منهج ابن تيمية في الاستدلال بالقراءات القرآنية على قضايا العقيدة) إلى توضيح القيمة العلمية للقراءات ، والاستدلال بها، وتسليط الضوء على أهمية علم القراءات؛ لحث طلبة العلم الشرعي على زيادة الاهتمام به، بالإضافة إلى بيان منهج شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في الاستدلال بالقراءات للعلوم الشرعية الأخرى، ولتحقيق ذلك جمعنا في هذه الدراسة بين المنهج الاستنباطي والتحليلي والاستقرائي؛ وذلك عن طريق استقراء مناهجه في القراءات, واستنباط جهوده المبذولة في هذا العلم, وتحليل تعريفاته وشرحها وبيان إضافاته وبيان الدلالات المتضمنة لها، وذلك من خلال كتبه والكتب ذات الصلة ، وخلصت هذه الدراسة إلى مايأتي: إن ابن تيمية عالم فذ، ولد ونشأ في بيت علم أبا عن جد، وله باع طويلة في جميع العلوم الشرعية، والتي منها علم القراءات القرآنية، وله في ذلك جهود بارزة، ومن أبرز ما اشتهر به ابن تيمية علم العقيدة، ولقد تنوعت استدلالاته لقضايا العقيدة، وكان منها استدلاله بالقراءات، حيث استدل بها للدفاع عن مقام النبوة والرسالة، وكذلك استدل بها لأنواع التوحيد، كما استدل للغيبيات.

Abstract

The purpose of this study, which is entitled: Ibn Taymiyyah's approach to citing different recitations for the issues of doctrine, is to clarify the scientific value of the recitations and using them for evidence and to highlight the importance of the science of recitations. It also aims at encouraging students of Islamic sciences to increase interest in it. Finally the study aims at showing Ibn Taymiyyah's approach to citing different recitations for the issues of other Islamic Sharia sciences. In order to achieve the objectives of this study, the researcher used a combined approach of the deductive, analytical and inductive methods. This is done by extrapolating Ibn Taymiyyah's approach to recitations, developing his efforts in this science, analyzing his definitions, explaining them, and adding their meanings and indications to them through studying his books and any other relevant books. ***The study concluded the following:*** Ibn Taymiyyah is a great scholar. He was born and brought up in a knowledgeable family. He has a long history in all the Islamic Sharia sciences, including Quranic recitations. He has outstanding efforts in this regard. He was well-known in the field of doctrine and his quotations of different reading for supporting doctrine problems. He quoted different recitations to defend the position of prophecy, as well as evidence of the types of monotheism, and as evidence for metaphysical issues.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ρ عبده ورسوله, وبعد...

فإن الله Y قد أنعم على أهل الإسلام نعمًا لا تعد ولا تحصى, وإن أرفع هذه النعم قدرًا, وأجلها ذكرًا, هو القرآن، فقد أدركت الأمة عظمته, ونهلت –ولا زالت– من صفو نبعه الخالد, ورقي نظمه الماجد, وكان ممن وفقهم

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الله لذلك، شيخ الإسلام العلامة الإمام ابن تيمية الذي ما ترك نوعا من أنواع التصنيف إلا وله فيه جهد, فعلم وعمل وفسر, وكان علم القراءات من بين العلوم التي تعلمها, وأبدع فيها, وأفتى في أحكامها واستدل بها في عقيدة أهل الملة, وتشريعهم وأخلاقهم فكان عالمًا بالاستدلال بالقراءات مفتيا بأحكامها, مستدلا بأوجهها موجها لها في بعض الأحيان.

- فلما كان علم القراءات علمًا مستقلا بذاته ومن العلوم التي ينبغي لطالب العلم الشرعي, خاصة في قسم التفسير الاهتمام بها.
- ولما كانت شخصية الإمام ابن تيمية هي مدار البحث في هذه الدراسة وكثر حديث طلبة العلم, في حواراتهم ومناقشاتهم حول شخصية الإمام في علم القراءات بين مبالغ ومنصف ومجحف.

لذلك كله كان لا بد من تسليط الضوء على هذا النمط الثمين من علوم القرآن والاستدلال بها خاصة مع شخصية من أبرز أئمة الإسلام وشيوخه رأينا أنه من المفيد والنافع أن نكتب بحثا يجلي ذلك النمط فكان هذا البحث بعنوان: (منهج ابن تيمية في الاستدلال بالقراءات القرآنية على قضايا العقيدة)

أولاً: أهمية البحث

تنبع أهمية هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

1. التأكيد على أهمية علم القراءات, وبيان فضل القرآن ؛ كونه دستورًا للمسلمين.
2. يمَكِّن هذا البحث المتخصصين في مجال علم القراءات من الوصول إلى علاقة علم القراءات بالعلوم الأخرى.
3. هذا البحث يسّلط الضوء على أحكام القراءات والفتاوى المترتبة عليها.
4. يبرز هذا البحثُ شخصيةَ إمام في العقيدة ومفتٍ في الفقه, ومفسر للقرآن, وراسخ في العلم المحقق المجدد, الشيخ الإمام ابن تيمية.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1. أهمية هذا الموضوع
2. الرغبة الشديدة في إبراز منهج الاستدلال بالقراءات عند شيخ الإسلام ابن تيمية.
3. عدم تناول مثل هذا الموضوع على حد علم الباحثين

ثالثاً: أهداف الدراسة والغاية منها

تتجلى أهداف هذا الموضوع في:

1. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة علمية محكّمة تتناول موضوعًا جديدًا في مجال الاستدلال بالقراءات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. توضيح القيمة العلمية للقراءات والاستدلال بها.
3. تسليط الضوء على أهمية هذا الموضوع, وزيادة الاهتمام به من قبل طلبة العلم ؛ للارتقاء بالعلم الشرعي.
4. بيان منهج الإمام ابن تيمية في الاستدلال بالقراءات للعلوم الأخرى

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث في العديد من قواعد المعلومات الخاصة بالدراسات الأكاديمية والمتعلقة بالجامعات الإسلامية والعربية، والبحث عن طريق شبكة المعلومات " الإنترنت" تبيّن لنا أنَّه لا توجد دراسة تبرز منهج الإمام ابن تيمية في استدلاله بالقراءات القرآنية, بيد أن الدراسات القريبة من هذا الموضوع؛ إما أنها تسلط الضوء على الإمام ابن تيمية كعالم في مجال آخر غير القراءات, أو تبرز مناهج علماء غير شيخ الإسلام في القراءات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: منهج البحث

جمعنا في هذه الدراسة بين المنهج الاستنباطي والتحليلي والاستقرائي؛ باعتبار الجمع بينها أنسب المناهج لمثل هذا الموضوع, وذلك عن طريق استقراء مناهجه في القراءات, واستنباط جهوده المبذولة في هذا العلم, وتحليل تعريفاته وشرحها وبيان إضافاته وبيان الدلالات المتضمنة لها، وذلك من خلال كتبه والكتب ذات الصلة. وذلك وفق الخطوات التالية:

1. الرجوع إلى المصادر الأصلية، وأمهات الكتب إذا كانت المسألة قد تناولها علماؤنا الأجلاء.
2. الاستعانة بكتب القراءات وحججها في بيان القراءات المتواترة وأصحابها ومعانيها.
3. الاستعانة بكتب التفسير وعلوم القرآن في بيان القراءات الشاذة.
4. الرجوع لكلام شيخ الإسلام في كتبه الأصلية المحققة.
5. تحرير المسائل المعروضة ـ ما تيسر ـ، وبسط أقوال أهل العلم، وأدلتهم، ومناقشة ما يستحق المناقشة منها، والرد على الاعتراض ـ ما تيسر ـ، مع ذكر سبب الخلاف ـ ما تيسر ـ، والخروج بالقول الذي نحسبه راجحاً وفق ما عرض من أدلة بعيداً عن التعصب والهوى، مع ذكر مسوغات الترجيح.

سادساً: خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة, وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث, أسباب اختياره, أهداف الدراسة والغاية منها, الدراسات السابقة, منهج البحث وطبيعة العمل فيه, وخطة البحث.

التمهيد: وفيه ترجمة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، وفيه:

- أولا: اسمه وكنيته ونسبه وأسرته.
- ثانيا: صفاته الخَلقِية، وصفاته الخُلُقِية
- ثالثا: ورعه وزهده
- رابعا: محنته وفاته.

المبحث الأول: الاستدلال بالقراءات لأنواع التوحيد، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: منهجه في الاستدلال بالقراءات لتوحيد الربوبية:
- المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال بالقراءات لتوحيد الألوهية:
- المطلب الثالث: منهجه في الاستدلال بالقراءات لتوحيد الأسماء والصفات:
- المطلب الرابع: منهجه في الاستدلال للأسماء والصفات بالقراءات:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: الاستدلال بالقراءات للدفاع عن مقام النبوة والرسالة، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: بيانه للقراءات في كلمة النبي, وترجيحه لأصل اشتقاقها .**
- **المطلب الثاني**: الاستدلال بالقراءات لوجوب توقير الأنبياء والمرسلين.
- **المطلب الثالثً**: استدلاله بالقراءات لتنزيه النبي ρ وتقرير رفعة مكانته .

المبحث الثالث: الاستدلال بالقراءات للغيبيات، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الغيبيات
- المطلب الثاني: استدلال شيخ الإسلام لصفة المجد في حق عرش الرحمن

المطلب الثالثً: استدلاله بالقراءات لبيان استئثار الله بعلم الغيب

الخاتمة: النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والمراجع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

ترجمة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية

أولا: اسمه وكنيته ونسبه وأسرته

هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، ...، تقي الدين أبو العباس أحمد ابن – الشيخ الإمام العلامة – شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن – الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات – عبد السلام بن أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن الخضر بن عليّ بن عبد الله بن تيمية الحراني، نزيل دمشق، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها [1].

اسم ابن تيمية وشهرته ولقد اختُلف في سبب اشتهاره بذلك على روايتين عن أهل العلم وهما [2] أن جده لما كان بتيماء رأى جويرية خرجت من خباء، فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد وضعت جارية، فلما رفعوها إليه قال: يا تيمية! يا تيمية! يعني أنها تشبه التي رأى بتيماء فسمي بها.وقيل بل جده "محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد الحرّاني، يعرف بابن تيميّة، وهو اسم لجدّته، وكانت واعظة البلد، يعرف بالباجدّاي [3]، وكان شيخا معظّما بحرّان وخطيبها وواعظها ومفتيها، ولأهل حرّان فيه اعتقاد طاهر صالح، وكان نافذ الأمر فيهم مطاعا. سمع الحديث ورواه"[4].

مولده:

"ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة"(5) ومعلوم مما تقدم في مطلبي الحالة السياسية والاجتماعية ما آلت إليه أوضاع الأمة في هذه الفترة, فشاء الله Y أن يولد الجهبذ المجدد شيخ الإسلام في هذه الظروف.

أسرته:

ولد شيخ الإسلام لأسرة كريمة مشتغلة بالعلم حتى عُرفت به، وبرزت فيه، فكانت أسرة علم وتقوى وزهده, بل كان جده وأبوه من العلماء الراسخين, والدعاة الربانيين في ذلك العصر.

وكأن الله ييسر الظروفَ, وتتهيأ الأجواءُ لخروج النسل الطاهر والذرية المباركة شيخ الإسلام.

"فأما جده أبو البركات؛ عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن علي ابن تيمية الحراني

---

(1) انظر: الذهبي/ ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام (ص: 22).

(2)ابن عبد الهادي المقدسي: العقود الدرية (ص18)؛ وانظر: الكرمي: الشهادة الزكية (ص24).

(3) الباجدي: بفتح الجيم، وتشديد الدال، والقصر: قرية كبيرة بين رأس عين والرّقّة انظر: الحموي: معجم البلدان (1/ 313).

(4) الحموي: معجم البلدان (1/ 313).

(5) الذهبي: تذكرة الحفاظ (4/ 192).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحنبلي، قال ابن كثير: "ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة (590هـ) وتفقه في صغره على عمه الخطيب فخر الدين، وسمع الكثير ورحل إلى البلاد، وبرع في الحديث، والفقه، وغيره، ودرس، وأفتى، وانتفع به الطلبة، ومات يوم الفطر بحران"[6].

قال عنه الذهبي: " وكان إمامًا حجَّة بارعًا فِي الفقه والحديث، وله يد طولى فِي التفسير، ومعرفة تامة بالأصول، واطلاع على مذاهب الناس. وله ذكاء مفرط؛ ولم يكن فِي زمانه أحد مثله في مذهبه.

وله المصنَّفات النافعة التي انتشرت فِي الآفاق " كالأحكام "، و " شرح الهداية "، وقد بيَّض منه رُبْعه الأوّل؛ وصنَّف " أرْجوزة فِي القراءات "، وكتابًا " فِي أصول الفقه ", قال شيخنا: وكانت فِي جدنا حدة. وقد قرأ عليه القراءات غيرُ واحدٍ، "[7].

وكذا أبوه عبد الحليم بْن عَبْد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم، الإمَام، المفتي، المفنّن شهاب الدّين ابن العلامة شيخ الإسلام أبي البركات ابن تيمية الحراني، الحنبليّ، (المتوفى: 682 هـ) وُلِد سنة سبعٍ وعشرين وستّمائة بحرّان، وقرأ المذهب حتّى أتقنه عَلَى والده، ودرّس وأفتى وصنّف وصار شيخ البلد بعد أبِيهِ وخطيبه وحاكمه.

وكان إمامًا متقنًا، محقّقًا لما ينقله، كثير الفنون، جيّد المشاركة فِي العلوم، لَهُ يد طُولي فِي الفرائض والحساب والهيئة، وكان ديّنًا، خيرًا، متواضعًا، حَسَن الأخلاق، موطَّأ الأكناف، كريمًا جوادًا، نبيلًا، من حَسَنات العصر" [8]. ولم يقتصر العلم في الوالد والجد بل كان كثير من أبناء أسرته من أهل العلم منهم أخوه ففي معرض الحديث عن والد شيخنا قال الذهبي: "وتفقّه عليه ولداه أَبُو الْعَبَّاس وأبو مُحَمَّد، وَحَدَّثَنَا عَنْهُ عَلَى المنبر ولده" [9].

وظهر أن من نسل هذين العالمين الراسخَين المتفننين –الجد والوالد– خرج شيخنا تقي الدين آجره الله وجزاه وأهله, وشيوخه وتلاميذه عنا خير الجزاء.

ثانيا: لباسه وصفاته الخِلْقِية والخُلُقِية:

وصفه من رآه بقوله: "وكان الشيخ أبيضًا، أسودَ الشعر واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحًا سريع القراءة، تعتريه حِدة ثمَّ يقهرها بحلم وصفح وَإِلَيْهِ كَانَ الْمُنْتَهى فِي فرط الشجَاعَة والسماحة وَقُوَّة الذكاء وَلم أر مثله فِي ابتهاله واستغاثته بِاللَّه تَعَالَى وَكَثْرَة توجهه"[10].

---

(6) ابن كثير: البداية والنهاية (217/13).
(7) الذهبي: تاريخ الإسلام (14/ 728).
(8) الذهبي/ تاريخ الإسلام (15/ 468).
(9) الذهبي/ تاريخ الإسلام (15/ 468).
(10) الذهبي: ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام (ص26–27)، وانظر: ابن حجر: الدرر الكامنة (176/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تلميذه البزار:" كان متوسطًا في لباسه وهيئته لا يلبس فاخر الثياب بحيث يُرمق ويمد النظر إليه، ويُميز من عامة الناس بصفة خاصة يراه الناس فيها من عالم وعابد، و كان يلبس ما اتفق وحَصُل، ويأكل ما حُضر، وكانت بذاذة الإيمان عليه ظاهرةً، لا يُرى مُتَصَنِّعًا في عمامةٍ ولا لباسٍ ولا مشيةٍ ولا قيامٍ ولا جلوسٍ، ولا يتهيأ لأحدٍ يلقاه، ولا لمن يَرِد عليه من بلد، ومن العجب أني كنت قد رأيته قبل لُقِيه بمدة فيما يَرى النائم ونحن جُلوسٌ نأكل طعامًا على صِفَةٍ مُعينةٍ، فَحَال لَقِيَتِي له ودُخولي عليه، وَجَدته يأكل مثل ذلك الطعام على نحو من الصِفَة التي رأيت فأجلسني وأكلنا جميعًا كما رأيت في المنام، وأخبرني غير واحد أنه ما رآه ولا سمع أنه طلب طعامًا قط، ولا غداءً ولا عشاءً ولو بقي مهما بقي، لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل، بل كان يُؤْتى بالطعام وربما يُترك عنده زمانًا حتى يلتفت إليه، وإذا أَكَل أَكَل شيئًا يسيرًا، قال: وما رأيناه يذكر شيئًا من ملاذ الدنيا ونعيمها، ولا كان يخوض في شيء من حديثها، ولا يسأل عن شيء من معيشتها، بل جعل هِمَتَه وحديثه في طلب الآخرة وما يقرِّب إلى الله تعالى.

وأخبر أخوه الذي كان ينظر في مصالحه الدنيوية، أن هذا حاله في طعامه وشرابه ولباسه وما يحتاج إليه مما لا بد منه من أمور الدنيا، وما رأيت أحدًا كان أشد تعظيما للشيخ من أخيه هذا – أعني القائم بأوده – وكان يجلس بحضرته كأن على رأسه الطير، وكان يهابه كما يهاب سلطانًا، وكنا نعجب منه في ذلك، ونقول: من العُرْفِ والعَادَة أن أهل الرجل لا يحتشمونه كالأجانب، بل يكون انبساطهم معه فضلاً عن الأجنبي، ونحن نراك مع الشيخ كتلميذ مبالغ في احتشامه واحترامه؟ فيقول: إني أرى منه أشياءً لا يراها غيري أوجبت عليَّ أن أكون معه كما ترون، وكان يُسأل عن ذلك فلا يذكر منه شيئًا، لما يعلم من عدم إيثار الشيخ لذلك" [(11)] .

قال أعلم الناس بحاله الإمام الذهبي : "وكان محافظًا على الصلاة، والوضوء، وصوم رمضان، معظمًا للشريعة ظاهرًا وباطنًا، لا يُؤتى من سوء فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم؛ فإنه بحر زخار بصير بالكتاب والسنة عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدِّين، فلو كان كذلك لكان أسرع شيء إلى مداهنة خصومه وموافقتهم ومنافقتهم، ولا هو يتفرد بمسائل بالتشهي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائله المفردة يحتج لها بالقرآن وبالحديث أو بالقياس، ويبرهنها ويناظر عليها، وينقل فيها الخلاف ويطيل البحث، أسوة من تقدمه من الأئمة، فإن كان قد أخطأ فيها فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب فله أجران، وإنما الذم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى ولم يُبد حجةً، ورجل تكلم في مسألة بلا خميرة من علم ولا توسع في نقل، فنعوذ بالله من الهوى والجهل.

ولا ريب أنه لا اعتبار بذم أعداء العالم؛ فإن الهوى والغضب يحملهم على عدم الإنصاف والقيام عليه، ولا اعتبار بمدح خواصه والغلاة فيه؛ فإن الحب يحملهم على تغطية هناته، بل قد يعدوها له محاسن، وإنما العبرة بأهل الورع والتقوى من الطرفين الذين يتكلمون بالقسط ويقومون لله ولو على أنفسهم وآبائهم، فهذا الرجل لا أرجوا على ما قلته فيه دنيا ولا مالاً ولا جاهًا بوجه أصلاً مع خبرتي التامة به، ولكن لا يسعني في ديني ولا عقلي أن أكتم محاسنه

(11) البزار: الأعلام العلية (ص53-55).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأدفن فضائله وأبرز ذنوبًا له مغفورة في سعة كرم الله تعالى، وصفحة مغمورة في بحر علمه وجوده، فالله يغفر له ويرضى عنه ويرحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه، مع أني مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، قد أبديت آنفا أن خطأه فيها مغفور، بل قد يثيبه الله تعالى فيها على حسن قصده وبذل وسعه، والله الموعد، مع أني قد أوذيت لكلامي فيه من أصحابه وأضداده فحسبي الله"[12].

(12) الذهبي: ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام (ص25).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: ورعه وزهده:

ففي زهد شيخ الإسلام قال التلميذ البار, الإمام البزار: "أما زهده في الدنيا ومتاعها؛ فإن الله تعالى جعل ذلك له شعارًا من صغره، ولقد اتفق كل من رآه، خصوصًا من أطال ملازمته، أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا، حتى لقد صار ذلك مشهورًا، بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها، بل لو سُئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ، من كان أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا، وأحرصهم على طلب الآخرة؟ لقال: ما سمعت بمثل ابن تيمية رحمة الله عليه.

وما اشتهر له ذلك إلا لمبالغته فيه، مع تصحيح النية، وإلا فمن رأينا من العلماء قنع من الدنيا بمثل ما قنع هو منها، أو رضي بمثل حالته التي كان عليها، لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء، ولا سرية حوراء، ولا دار قوراء، ولا مماليك جوار، ولا بساتين، ولا عقار، ولا شد على دينار ولا درهم، ولا رغب في دواب ولا نعم، ولا ثياب ناعمة فاخرة ولا حشم، ولا زاحم في طلب الرئاسات، ولا رُئي ساعيًا في تحصيل المباحات، مع أن الملوك والأمراء، والتجار والكبراء، كانوا طوع أمره، خاضعين لقوله وفعله، وادِّينَ أن يتقربوا إلى قلبه مهما أمكنهم، مظهرين لإجلاله، أو أن يؤهل كلاً منهم في بذل ماله.

فأين حاله هذه من أحوال بعض المنتسبين إلى العلم وليسوا من أهله، ممن قد أغراهم الشيطان بالوقيعة فيه بقوله وفعله "[13].

رابعا: محنته ووفاته:

لقد كثرت الآثار التي بينت عظيم المحن التي مر بها شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية بسبب أصحاب البدع, وأهل الشبهات والأهواء لا لشيء إلا حسدًا من عند أنفسهم هدانا الله وإياهم.

"اعتقل الشَّيْخ تَقِيّ الدّين بن تَيْمِية بقلعة دمشق مكرماً رَاكِبًا وَفِي خدمته مشد الْأَوْقَاف والحاجب ابْن الخطير وأخليت لَهُ قاعة ورتب لَهُ مَا يقوم بكفايته، ورسم السُّلْطَان بِمَنْعه من الْفتيا"[14].

وكان سبب هذه الأحداث العصيبة التي مرت بالشيخ وقوفه في وجه البدع, "وكان قد اعتقل الشيخ تقي الدين بن تيمية في قلعة دمشق بسبب " مسألة الزيارة " [15] والمراد زيارة قبور الأنبياء والأولياء, والصالحين, وكان هذا مما انتشر في عصره, قال الإمام شهاب الدين النويري: "وفى هذه السنة– في يوم الاثنين السادس من شعبان– اعتقل الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية بقلعة دمشق المحروسة، حسب الأمر الشريف السلطاني، واعتقل معه أخوه زين الدين عبد الرحمن ، ومنع من الفتيا واجتماع الناس به.

---

(13) البزار: الأعلام العلية (ص 45–47).

(14) ابن الوردي: تاريخه (2/ 270)؛ ابن كثير: البداية والنهاية (14/ 142).

(15) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر (4/ 368).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسبب ذلك أنه أفتى أنه لا يجوز زيارة قبر رسول الله ρ، ولا قبر إبراهيم الخليل، ولا غيرهما من قبول الأنبياء والصالحين"[16] . وذلك إذا شد الرحال إلى هذه القبور أو إلى غيرها, أو اعتقد في أصاحبها النفع والضر, أو استغاث بهم, ومن البدع التي لا زالت منتشرة في زماننا أن بعض الناس يتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وسلم أو يستقبل القبر عند الدعاء وعند تلاوة القرآن وكله هذا لا يصح.

وكذلك من أهم المسائل التي أوذي الشيخ بسببها, اجتهاداته في فتاوى الطلاق التي تناسب مجتمعه في تلك الحقبة, وعُقدت له المجالس والمحاكم لمنعه من الوعظ والتدريس والإفتاء, ثم منع من التأليف والكتابة لاحقًا, قال أهل التأريخ: "وَفِي ثَانِي عشري رَجَب: عقد بدار السَّعَادَة بِدِمَشْق مجْلِس لابن تَيْمِية وَمنع من الْإِفْتَاء بِمَسْأَلَة الطَّلَاق ثمَّ اعتقل بالقلعة إِلَى يَوْم عَاشُورَاء سنة إِحْدَى وَعشْرين فأفرج عَنهُ"[17].

قال شهاب الدين النويري: "وفي الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن العشرين من ذي القعدة كانت وفاة الشيخ العالم الورع تقى الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبى المحاسن عبد الحليم بن الشيخ مجد الدين أبى البركات عبد السلام ابن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي في معتقله بدمشق، ومرض سبعة عشر يوما، ولما منع من الكتابة والتصنيف عكف على تلاوة كتاب الله تعالى، فيقال إنه قرأ ثمانين ختمة، وقرأ من الحادية والثمانين إلى سورة الرحمن، وأكملها أصحابه الذين دخلوا عليه حال غسله وتكفينه، ... ثم حمل إلى الجامع الأموي، ووضعت جنازته في أول الساعة الخامسة، وامتلأ الجامع بالناس، وغلّقت أسواق المدينة، وصلّى عليه بعد صلاة الظهر، ثم حمل وأخرج من باب الفرج، وازدحم الناس حتى تفرقوا في أبواب المدينة وصلّى عليه بعد صلاة الظهر... وامتلأ سوق الخيل بالناس، وصلى عليه مرة ثالثة وأمّ الناس في الصلاة عليه أخوه الشيخ زين الدين عبد الرحمن، وحمل إلى مقبرة الصوفية"[18].

توطئة:

ولما كان علم التوحيد علمًا يُعنى بمعرفة الله تعالى والإيمان به، ومعرفة ما يجب له سبحانه، وما يستحيل عليه وما هو من أركان الإيمان الستة ويلحق بها، وهو أشرف العلوم وأكرمها على الله تعالى بشرط أن لا يخرج عن مدلول الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع العدول وفهم العقول السليمة في حدود القواعد الشرعية وقواعد اللغة العربية الأصيلة.

أنزل الله تعالى القرآن على العرب وغيرهم بلسان العرب وأسلوبهم وبيانهم مع إعجازه هو دون كلامهم, ففهموه وعقلوا معانيه, وفسر لهم رسول الله ρ بعض ما احتاجوا إلى تفسيره منه[19].

---

(16) النويري/ نهاية الأرب(33/ 213).

(17) المقريزي/ السلوك لمعرفة دول الملوك (31/3).

(18) النويري: نهاية الأرب (33/ 278).

(19) انظر: ابن جماعة: إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل (ص: 7)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما بدأت فهوم بعض الناس تزيغ في مسائل التوحيد, واعتمد أرباب بعض المذاهب على العقل وقدموه على النقل انبرى لهم ثلة من السلف والخلف؛ يبينوا للأمة عقيدتها السليمة التي أراداها الله I, فصنف أهل العلم في بيان المعتقد الحق, وكان شيخ الإسلام واحدًا من هؤلاء, ولقد تميز بمنهجه الفريد, ورأيه السديد في مسائل المعتقد, دون أن يُجَاوِزَ الأصول التي تبنى عليها هذه العقائد, وأولها القرآن الكريم, برز منهج شيخ الإسلام في إثبات بعض قضايا العقيدة معتمدًا على قراءات القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الاستدلال بالقراءات لأنواع التوحيد

"توحيد اللّه تعالى هو الشهادة له بالوحدانية، والتنزيه له عن مشابهة المخلوقين" [20] في إثبات ذاته وصفاته وأفعاله, وفي قصد العبادة له وحده وهذان هما أصلا التوحيد ونوعاه قال شارح الطحاوية: "ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ρ, وقد أفصح القرآن.

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: 1]"[21].

ونعني بالأول توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات, وبالثاني توحيد الألوهية [22].

وفي تأصيل أنواع التوحيد هذه كان شيخ الإسلام كثيرًا ما يستدل بالقراءات القرآنية فتارة يقرر أصلا عقديًا مبنيًا على اختلاف القراءات وفي السنة ما يؤكده, وأخرى يبني أصولاً عقدية, خاصة في باب الأسماء والصفات العمدة فيها اختلاف القراءات المتواترة.

المطلب الأول: منهجه في الاستدلال بالقراءات لتوحيد الربوبية:

توحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الخالق والمالك والمدبر لشؤون الكون كله.

قال الإمام محمد عبد الوهاب: " أما توحيد الربوبية فهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ρ، ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله ρ واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

[يونس: 31]وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾[المؤمنون: 84 – 89]، والآيات على هذا كثيرة جداً أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر"[23].

---

(20) نشوان الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (11/ 7096).

(21) ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية (ص: 89).

(22) انظر: الهراس: شرح العقيدة الواسطية (ص: 265).

(23) محمد عبد الوهاب: الرسالة المفيدة (ص: 40).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويظهر منهج شيخ الإسلام في الاستدلال بالقراءات في إثبات القضايا التي تتعلق بتوحيد الربوبية من خلال تعرضه لهذه الآية ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 14] .

قال الطبري في تفسيرها: " وأما قوله:﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، فإنّه يعني: وهو يرزق خلقه ولا يرزق...وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرأ ذلك ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يَطْعَمُ ﴾، أي: أنه يُطعم خلقه، ولا يأكل هو ولا معنى لذلك، لقلة القراءة به"[24].

وقرأ بالفتح مجاهد وسعيد بن جبير والأعمش وأبو حيوة وعمرو بن عبيد [25]، ويلاحظ أن الإمام الطبري تعرض للقراءة بشيء من الاختصار بيد أن شيخ الإسلام أورد هذه القراءة وبين ضعفها ورد عليها.

قال: " القراءة المتواترة التي بها يقرأ جماهير المسلمين قديمًا وحديثًا – وهي قراءة العشرة وغيرهم ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾، ورُوِي عن طائفة أنهم قرأوا: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يَطْعَمُ ﴾، بفتح الياء, قلتُ:–أي ابن تيمية– الصواب المقطوع به أن القراءة المشهورة المتواترة أرجحُ من هذه، فإنّ تلك القراءة لو كانت أرجحَ من هذه لكانت الأمة قد نَقَلتْ بالتواتر القراءةَ المرجوحةَ.

والقراءة التي هي أحبُّ القراءتين إلى الله ليست معلومةً للأمة، ولا مشهودًا بها على الله، ولا منقولةً نقلاً متواترًا، فتكون الأمة قد حفظت المرجوح، ولم تحفظ الأحبَّ إلى الله الأفضلَ عند الله، وهذا عيب في الأمة ونقص فيها"[26].

وممن انتصر لقراءة الفتح الإمام الزجاج قال: "وهو الاختيار عند البصراء بالعربية"[27].

وظهر منهج شيخ الإسلام في عدم الاعتماد في قضية توحيد الربوبية على القراءة التي لم تتواتر بل ردها, وانتصر لقراءة العشر المتواترة, واعتمد المعنى العقدي المتعلق بتوحيد الربوبية الذي يظهر منها وهو أن الله تبارك وتعالى هو الرزاق لعباده جميعًا, الغني عنهم, المنزه عن مماثلة البشر.

المطلب الثاني: منهجه في الاستدلال بالقراءات لتوحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو النوع الثاني من أنواع التوحيد وهو" يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلا على الثاني، إذ كانوا يسلمون الأول، وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى؟ كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ

---

(24) الطبري: تفسيره (11/ 284).

(25) انظر ابن عطية: المحرر الوجيز (2/ 273) ونسبها لأبي عمرو البصري في رواية عنه, ولم يثبت.

(26) ابن تيمية: جامع المسائل (111/1–112).

(27) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه (2/ 233).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ، أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[النمل: 59، 60]"[28].

فتوحيد الألوهية هو إفراد المولى Ψ بجميع وجوه العبادات الظاهرة والباطنة, ودعوة الناس لعبادة الله هي" مهمة الرسل الأولى تحقيق توحيد العبادة اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده "[29].

ويدخل في هذه العبادة أعمال القلوب كالخوف والرجاء, وأعمال الجوارح كالسجود والدعاء.

قال ابن القيم: " فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود لله وحده، والنذر والحلف لا يكون إلا لله سبحانه"[30].

قال تعالى:﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[النمل: 25].

"واختلف القرّاء في ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا﴾، فقرأ: الكسائي، وأبو جعفر، ورويس ﴿ أَلَا يَا اسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ بتخفيف اللام، على أن (ألَا) للاستفتاح، و(يَا) حرف نداء، والمنادى محذوف، أي يا هؤلاء، أو يا قوم، و(اسجدوا) فعل أمر، ولهم الوقف ابتلاء أي اضطرارا على (ألا يا) معاً، ويبتدئون ب (اسجدوا) بهمزة وصل مضمومة لضم ثالث الفعل، ولهم الوقف اختبارا[31] على (ألا) وحدها، و(يا) وحدها، والابتداء أيضا ب (اسجدوا) بهمزة مضمومة.

أمّا في حالة الاختيار فلا يصح الوقف على «ألا» ولا على «يا» بل يتعين وصلهما ب (اسجدوا).

وقرأ الباقون (ألّا) بتشديد اللام، على أن أصلها (أن لا) فأدغمت النون في اللام، و (يسجدوا) فعل مضارع منصوب بأن المصدريّة"[32] "

وفي حرف أُبَيّ وابن مسعود: هلا يسجدوا, فهلا تحقيق وأن اسجدوا أمر"[33].

وقد ذكر شيخ الإسلام القراءات في هذه الآية, ووجهها بإيجاز مفهم وبين أن المراد من القراءة الأولى الأمر بالسجود, وهو الذي يتضمنه توحيد العبادة أو توحيد الألوهية.

---

(28) ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية (1/ 36).
(29) محمد عبد الوهاب: كشف الشبهات (ص: 3).
(30) ابن القيم: زاد المعاد (1/ 38).
(31) مثبتة في كتاب الهادي (اختيارا) والصواب (اختبارا).
(32) محيسن: الهادي شرح طيبة النشر (3/ 111).
(33) انظر: مكي بن أبي طالب: الهداية الى بلوغ النهاية (8/ 5397-5398).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال شيخ الإسلام: في قوله تعالى:" ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[النمل: 25، 26].

قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ خبر يتضمن ذم من يسجد لغير الله ولم يسجد لله. وَمَنْ قَرَأَ ﴿أَلَا يَا اُسْجُدُوا﴾ كَانَتْ أَمْرًا.

وَفِي "الم تَنْزِيل السَّجْدَة" ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: 15]، وهذا من أبلغ الأمر والتخصيص؛ فإنه نفي الإيمان عن ذكر بآيات ربه ولم يسجد إِذَا ذُكِّرَ بِهَا"[34]. وقد تكون ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ في قراءة الجمهور بتشديد اللام في محل نصب على المفعولية، لقوله يَهْتَدُونَ بزيادة لا، والتقدير: فهم لا يهتدون أنْ لا يسجدوا أي لا يهتدون للسجود[35].

المطلب الثالث: منهجه في الاستدلال بالقراءات لتوحيد الأسماء والصفات:

كان شيخ الإسلام صاحب عقيدة سلفية كيف لا وهو حامل لواء السلف والمدافع عنه, وعقيدة السلف في الأسماء والصفات هي العقيدة الوسط في هذه الأمة.

قال شيخ الإسلام: " بل هم الوسط في فرق الأمة–أهل السنة–؛ كما أن الأمة هي الوسط في الأمم, فهم وسط في: باب صفات الله I, بين أهل التعطيل –الجهمية– ، وبين أهل التمثيل –المشبهة–.

وهم وسط في: باب أفعال الله تعالى, بين «القدرية» ، «والجبرية»"[36].

وإعمال العقل في هذا الباب ومخالفة الدليل بدعة بل الواجب على الأمة أمرها كما جاءت، وكما فعلت الصحابة والتابعون[37].

قال ابن تيمية: "فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف اللهُ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ρ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف, ولا تمثيل فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: 11].

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم: 65].

وقال تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 22][38].

---

(34) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (23/ 138–139).

(35) انظر: القاضي: الوافي في شرح الشاطبية (ص: 335).

(36) ابن تيمية: العقيدة الواسطية (ص: 82).

(37) انظر: ابن أبي يعلى: الاعتقاد (ص: 31).

(38) ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية (ص: 41).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكلام شيخ الإسلام في هذا الباب هو الأدق فقد بيّن أن العمدة على الشرع والنّص المنقول, وهو لا يخالف الفهم السليم المعقول, ثم ذكر التحريف والتكييف والتعطيل والتمثيل, ولم يذكر التشبيه.

المطلب الرابع: منهجه في الاستدلال للأسماء والصفات بالقراءات:

ومنه:

1 -استدلاله بالقراءة المتواترة لإثبات صفاتٍ واردةٍ في السنة.
2 -استدلاله بالقراءة غير المتواترة لإثبات صفاتٍ أشارت إليها السنّة.
3 -استدلاله بالقراءة الشاذة لإثبات أسماءٍ حسنى وردت في السنة.
4 -استدلاله بقراءة شاذة لتفسير معنى الصفة.

أولا: استدلاله بالقراءة المتواترة لإثبات صفاتٍ واردةٍ في السنة

علمنا مما سبق أن التوقف هو منهج شيخ الإسلام في إثبات العقيدة, والقراءات العشرة كلها توقيفية متواترة, وقد استدل لصفة التعجب بموضع اختلاف القراءة ولم يقم دليل آخر في القرآن على إثباتها وهي قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[الصافات: 12].

"قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر كلمة عجبتُ بضم التاء, وقيل في توجيهها والمعنى: قل يا «محمد» بل عجبت أنا من إنكار المشركين للبعث مع قيام الأدلة على إمكانه"[39] .

وهذا التوجيه لا يتفق وسياق الآيات.

قال الطبري: "والمعني بل عظم عندي-أي رب العزة- وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟

قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسَخِر المشركون بما قالوه"[40].

قال شيخ الإسلام في قراءة الضم: " قال وذلك يدل على ثبوت هذا المعنى في حق الله تعالى.

---

(39) انظر: محيسن: الهادي شرح طيبة النشر (3/ 178)؛ الواسطي المقرئ: الكنز في القراءات العشر (2/ 624).
(40) انظر: الطبري: تفسيره (21/ 22-24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال: واعلم أن التأويل هو أن العجب حالة تحصل عند استعظام الأمر فإذا عظّم الله أمراً أو فعلاً إما في كثرة ثوابه أو في كثرة عقابه جاز إطلاق لفظ التعجب عليه فقوله في هذا الموضع التعجب حالة تحصل عند استعظام الأمر ينافي قوله قبل هذا بوجه التعجب حالة تحصل للإنسان عند الجهل بالسبب وذلك في حق عالم الغيب والشهادة محال فهل يوجد من يصف الله بالعجب ويبين أنه لا يستلزم الجهل ويمنع من وصفه بصفة أخرى قال لأنها تستلزم العجب وهو ممتنع لاستلزام الجهل" [41].وإن تأولها البعضُ على أنها خطاب للنبي أي قل لهم يا محمد بل عجبتُ وحجتهم أن اللغة تحتمل هذا, فالصفة في حق الله ثابتة في السنة الصحيحة، فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**[42]»[43].

وعنه رضى الله عنه،سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ρ يَقُولُ: (**يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ Y: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ**)[44].

ثانيًا: استدلاله بالقراءة الشاذة لإثبات صفاتٍ أشارت إليها السنة

ومثاله: ترجيح شيخ الإسلام لصفة العزم في حق الله تعالى معتمدًا على قراءة أخرى. **قال:** "هل يجوز وصفه بالعزم فيه قولان.

أحدهما: المنع كقول القاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى.

الثاني: الجواز وهو أصح.

فقد قرأ جماعة من السلف ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159] بالضم[45].

وفي الحديث الصحيح من حديث أم سلمة: "ثُمَّ عَزَمَ اللهُ لِي" [46]،وكذلك في خطبة مسلم: (فعزم لي) .

---

(41) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (6/ 332-333).

(42)الصبوة: مصدر صبا الرجل يصبو صبا وصبوة، إذا مال إلى الهوى.غريب الحديث للخطابي (3/ 124)

(43) أخرجه: أحمد في مسنده [مسند الشاميين/ حديث عقبة بن عامر (17371) (600/28)]. قال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(44) أخرجه: أبو داود في سننه [كتاب الصلاة" تفريغ صلاة السفر"/ باب الأذان في السفر (24) (4/2)]، قال الألباني: صحيح.

(45) وقرأ جابر بن زيد وأبو نهيك وجعفر بن محمد وعكرمة «عزمت» – بضم التاء سمى الله تعالى إرشاده وتسديده عزما منه, انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز (1/ 534)

(46) ونصه: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ عَزَمَ اللهُ لِي، فَقُلْتُهَا– أي {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة: 156]–: قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخرجه: مسلم/ صحيحه [كتاب الجنائز/ باب ما يُقال عند المصيبة (918) (632/2)].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسواء سمي " عزما " أو لم يسم، فهو سبحانه إذا قدرها علم أنه سيفعلها في وقتها وأراد أن يفعلها في وقتها، فإذا جاء الوقت فلا بد من إرادة الفعل المعين ونفس الفعل، ولا بد من علمه بما يفعله. ثم الكلام في علمه بما يفعله: هل هو العلم المتقدم بما سيفعله وعلمه بأن قد فعله هل هو الأول؟

فيه قولان معروفان:

والعقل والقرآن يدل على أنه قدر زائد كما قال ﴿لنعلم﴾ في بضعة عشر موضعا.

وقال ابن عباس: إلا لنرى.

وحينئذ فإرادة المعين تترجح لعلمه بما في المعين من المعنى المرجح لإرادته، فالإرادة تتبع العلم. وكون ذلك المعين متصفا بتلك الصفات المرجحة إنما هو في العلم والتصور ليس في الخارج شيء.

ومن هنا غلط من قال " المعدوم شيء " حيث أثبتوا ذلك المراد في الخارج، ومن لم يثبته شيئًا في العلم أو كان ليس عنده إلا إرادة"[47].

ثالثًا: استدلاله بالقراءة غير المتواترة لإثبات أسماءٍ حسنى وردت في السنة

ومنهج شيخ الإسلام في هذا الباب الاعتماد على قراءة بعض الصحابة في إثبات أسماء حسنى لله تعالى إنْ دلّ على ثبوتها سنة صحيحة، ومثال ذلك إثباته صفتي القَيِّم, و القَيَّام لكنّه دلل على ثبوتهما من السنة الصحيحة.

قال شيخ الإسلام :" وقد قرأ طائفةٌ "القَيَّام" و"القَيِّم"، وكلُّها مبالغاتٌ في القائم وزيادة"[48].

والقيَّام فيما ذكر الإمام الفراء قراءة عُمَر بْن الخطاب وابن مَسْعُود[49].

وانتصر شيخ الإسلام لصحة معناها كونها تدل على تنزيهٍ وتقديسٍ للرب جل جلاله فقال:" وأيضًا فلفظ "القيام" يقتضي شيئين: القوةَ، والثبات والاستقرار، ويقتضي العدلَ والاستقامةَ، فالقائم ضدّ الواقع، كما أنه ضدّ الزائل" [50].

وفي موضع آخر, انتصر لصحتها من حيث الأصل اللغوي والتصريف فقال:" إنَّ "قَيَّام" و"قَيُّوم" أصلُه قَيْوَام وقَيْوُوم، ولكن اجتمعت الياء والواو وسبقتْ إحداهما بالسكون فقُلِبَتْ الواوُ ياءً وأُدْغِمَتْ إحداهما بالأخرى، لأنّ الياءَ أخفُّ من الواو.

قال الفراء: وأهل الحجاز يصرّفون الفَعَّال إلى الفَيْعَال، ويقولون للصوَّاغ: صَيَّاغ[51].

---

(47) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (16/ 303-304).
(48) ابن تيمية: جامع المسائل (5/ 161).
(49) انظر: الفراء: معاني القران (1/ 190).
(50) ابن تيمية: جامع المسائل (5/ 161).
(51) انظر: الفراء: معاني القران (1/ 190).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال شيخ الإسلام: " قلتُ: هذا إذا أرادوا الصفةَ، وهي ثباتُ المعنى للموصوف، عَدَلُوا عن "فَعَّال" إلى "فَيْعَال" كما في سائرِ الصفاتِ المعدولة، فإنّ مِن هذا قلبَ المضعَّف حرف عينه، والحروف المختلفة أبلغُ من حرفٍ واحد مشدَّد، وأما إذا أرادوا الفعلَ فهو كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[النساء: 135]، ولم يقل "قيَّامِينَ"[52].

وانتصر لها في موضع ثالث من حيث ورودها في السنة الصحيحة من قوله ρ: «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»[53][54].

ومنهج الشيخ في الاستدلال لهذين الاسمين الكريمين من أسماء الله تعالى –فيما يظهر والله أعلم– اتفاق هذه القراءة –غير المتواترة– مع السنة النبوية الصحيحة.

رابعًا: استدلاله بقراءة شاذة لتفسير معنى الصفة

إن منهج أهل السنة والجماعة قائم على إثبات الأسماء والصفات من غير تأويل، ويُرجع في فهم معناها إلى السنّة وأقوال السلف وكلام العرب ولغتهم لا نَدْخُل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا [55]،إلا أنّ بعض الأسماء والصفات للسلف في فهمها أقوال, كصفة الساق واسم النور وغيرهما.

أما الساق فإنْ تأول بعض مفسري أهل السنّة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ [القلم: 42] بالشدة وذلك لدلالتها في العربية إلا أن السنة أثبتت صفة الساق لله تعالى[56].

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هـ **لْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟** »، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**» ثُمَّ قَالَ: " **يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ**

---

(52) ابن تيمية: جامع المسائل (5/ 165).

(53) متفق عليه، أخرجه: البخاري/ في صحيحه بلفظ قيوم [كتاب التوحيد/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23] (9/ 132) ح(7442)]؛ ومسلم/ صحيحه [كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب الدعاء في صلاة الليل (1/532) ح(769)]، قَالَ البخاري: قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ طَاوُسٍ، «قَيَّامُ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «القَيُّومُ القَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»، وَقَرَأَ عُمَرُ، القَيَّامُ، «وَكِلاَهُمَا مَدْحٌ».

(54) انظر ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (5/ 523).

(55) انظر: ابن أبي العز: شرح الطحاوية (ص: 198).

(56) انظر: أبو عبيدة المثني: مجاز القرآن (2/ 266).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا"[(57)].

وذكر شيخ الإسلام الرد على من أنكر صفة الساق للمولى جل جلاله فقال رحمه الله:" يقال هب أنه أخبر أنه يكشف عن ساق واحدة فمن أين في الكلام أنه ليس له إلا ساق واحدة والقائل إذا قال كشفت عن يدي أو عن عيني أو عن ساقي أو قدمي لم يكن ظاهر هذا أنه ليس له إلا واحد من ذلك بل قد يقال إنه لم يكشف إلا عن واحد فدعواه النفي في ظاهر القرآن دعوى باطلة وهو ممن لا يقول بمفهوم الصفة فكيف بما ليس من باب المفهوم بحال فكيف وليس في القرآن ما يقتضي إثبات الوحدة العينية"[(58)]

أما اسم النور والذي عليه مدار استدلال ابن تيمية فدليله من الكتاب قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور: 35], "فسمى الله نفسه نورا"[(59)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ρ، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»[(60)]، وما ذُكر من تأويل ابن عباس لاسم النور بالهادي سنده منقطع فيما قاله شيخ الإسلام [(61)]، إضافة إلى أن ابن عباس هو من روى حديث النور.

قال شيخ الإسلام: "إنّ الموجودات النورانية نوعان: منها ما هو بنفسه مستنير كالجمرة فهذا لا يقال له نور.

ومنها ما هو مستنير وهو ينير غيره فهذا هو النور كالشمس والقمر والنّار وليس في الموجودات ما ينوِّر غيره وهو في نفسه ليس بنور فقراءة ابن مسعود ﴿ اللَّهُ مُنَوِّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ هو تحقيق لمعنى كونه نوراً وهذا

---

(57) متفق عليه، أخرجه: البخاري/ صحيحه [كتاب التوحيد/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23] (7439) (129/9)]، ومسلم/ صحيحه [كتاب الإيمان/ باب معرفة طريق الرؤية (183) (167/1)] .

(58)ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (5/ 465)

(59) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة (ص: 117).

(60) متفق عليه، أخرجه: البخاري/ في صحيحه بلفظ قيوم [كتاب التوحيد/ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23] (7442) (132/9)]؛ ومسلم/ صحيحه [كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب الدعاء في صلاة الليل (769) (532/1)].

(61) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (521/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مثل كونه مكلماً ومعلماً فإن ذلك فرعُ كونه في نفسه متكلماً عالماً يؤيد ذلك ابن مَسْعُودٍ: "إِنَّ رَبُّكُمْ تَعَالَى لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ، وَلَا نَهَارٌ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ"[62][63].

فتبين من منهج شيخ الإسلام أنّه يفسر المراد من النور بقراءة ابن مسعود τوهي شاذة عن العشرة.وقد ذكر ابن تيمية قراءة أخرى شاذة مستدلاً بها لصفة النور الثابتة فقال: "وقد قرأ بعضهم ﴿ اللَّهُ نَوَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾... وذكر أن الذي عليه جماهير الخلائق أن الله Y نفسه نور حتى نفاة الصفات الجهمية كانوا يقولون إنه نور" [64] .

وانتصر شيخ الإسلام لإثبات اسم النور للمولى Ψ, ووجه ما فهمه بعض السلف من صفة النور **فقال:** "وعادة السلف من الصحابة والتابعين كل منهم يذكر في تفسير الآية أو الاسم بعض معانيه التي يصلح للسائل كما ذكروا مثل ذلك في اسمه الصمد واسمه الرحمن وغيرهما من أسمائه لا يريدون بذكر ما يذكرونه نفي ما سواه مما يدل عليه الاسم وكذلك في سائر تفسير القرآن مثل تفسير قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر 32]، حيث يذكر كل منهم بعض أنواع هذه الأصناف وهذا كثير في التفسير ومقصوده هنا يذكر نوره الذي في قلوب المؤمنين ولاريب أن هذا متعلق بهدايته للمؤمنين فذكر من معنى الاسم ما يناسب مقصوده وكونه هادياً مثل كونه نوراً فيما يلزم عليهما كما نبهنا على هذا في غير هذا الموضع وكلام ابن كلاب قد نبَّه فيه على ذلك وأما ما ذكره عن ابن مسعود أنه قال منور وأنها في مصحفه كذلك فهذا لا ينافي كونه نوراً "[65].

وخلاصة ما يُستنبط من كلام ابن تيمية أنه بالغ الدقة في هذه المسألة فهو لم يثبت اللفظ الوارد بالقراءة الشاذة, إنما اعتمد عليه في توضيح ما ثبت في الآية المتواترة وأكثر علماء أهل السنة على إثبات الاسم والصفة من النور في حق المولى الغفور, قال ابن القيم في نونيته:"

والنور من أسمائه أيضا ومن ... أوصافه سبحان ذي البرهان
قال ابنُ مسعود كلاما قد حكا ... ه الدراميُّعنه بلا نكران
ما عنده ليلٌ يكون ولا نها ... رٌ قلت تحتَ الفلك يوجد ذان
نورُ السموات العلى من نوره ... والأرضُ كيف النجوم والقمران
من نور وجه الرب Ψ ... وكذا حكاه الحافظ الطبراني"[66].

---

[62] أخرجه: الطبراني في معجمه الكبير [باب العين/ مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (179/9) ح(8886)]، قال الهيثمي: فِيهِ أَبُو عَبْدِ السَّلَامِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: مَجْهُولٌ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي الثِّقَاتِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مِكْرَزٍ – أَوْ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى الشَّكِّ – لَمْ أَرَ مَنْ ذَكَرَهُ. الهيثمي: مجمع الفوائد (29/2)، وقال حسين أسد: نقول هذا إسناد خطأ، صوابه "حماد بن سلمة، عن أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز قال: قال عبد الله بن مسعود ... ". وهذا إسناد رجاله ثقات غير أنه منقطع، أبو عبد السلام هو الزبير. نفس المصدر.

[63] ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (525/5).

[64] ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (8/ 66).

[65] بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (5/ 523وما بعدها).

[66] ابن القيم: النونية– الكافية الشافية (ص: 212).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الاستدلال بالقراءات للدفاع عن مقام النبوة والرسالة

لقد أرسل الله تعالى الأنبياء والمرسلين لدعوة الناس إليه وعبادته وحده.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وكان إرسال الرسل وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورة، إذ لا ينتظم للناس حال، ولا يصلح لهم دين ولا بال إلا بذلك، فهم أشد احتياجا إلى ذلك من إرسال المطر والهواء، بل ومن النفس الذي لابد لهم منه [67]

ثمّ إنّ الله تعالى أنزلهم منزلةً رفيعةً علية, ونزّههم عن الإفراط, وبرّأهم من التفريط.

قال الإمام أبو حنيفة في عصمة الأنبياء: "والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطايا"[68].

وظهرت ملامح منهج شيخ الإسلام في الدفاع عن منزلة النبوة مستدلًا بالقراءات في عدة جوانب:

المطلب الأول: بيانه للقراءات في كلمة النبي, وترجيحه لأصل اشتقاقها

قال في بيان معنى النبي: "وهو من النَّبَأ [69]، وأصله الهمزة، وقد قُرِىء به، وهي قراءة نافع، يقرأ النبيء [70]، لكن لما كثر استعماله ليّنت همزته، كما فعل مثل ذلك في: الذريّة، وفي البرية.

وقد قيل: هو من النَّبْوَةِ؛ وهو العلوّ؛ فمعنى النبي: المُعَلّى، الرفيع المنزلة والتحقيق: أنّ هذا المعنى داخلٌ في الأول، فمن أنبأه الله، وجعله مُنْبِئَاً عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليّاً"[71].

فنجد هنا أن شيخ الإسلام استدل بقراءة الهمزة على أصل الاشتقاق، وفيه دفاعه عن مقامة النبوة من الطعن في أنّها مكتسبة لذلك, قال: " وأما لفظ العلو والرفعة: فلا يدل على خصوص النبوة؛ إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي، بل يوصف بأنه الأعلى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [آل عمران: 139]، وقراءة الهمز قاطعةٌ بأنّه مهموز, فلو كان أصله نبيّ؛ مثل: عليّ وولي، لم يجز أن يقال بالهمز؛ كما لا يُقال: عليء،

---

(67) انظر: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/ 63) السفاريني لوامع الأنوار البهية (2/ 256)

(68) أبو حنيفة: الفقه الأكبر (ص: 37)

(69) انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (5/ 3).

(70) قرأ بالهمز نافع براوييه انظر: القاضي: الوافي في شرح الشاطبية (ص: 204).

(71) ابن تيمية: النبوات (2/ 881-882).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووليء – بالهمز –, وإذا كان أصله الهمز، جاز تليين الهمزة، فيجب القطع بأنّ النبيّ مأخوذٌ من الإنباء، لا من النَّبْوَة. والله أعلم"[72] .

ومنهج شيخ الإسلام في هذا المقام, أنّه يثبت القراءة المتواترة ثم يرجح في معناها ما فيه تنزيه وتكريم لمنزلة الأنبياء والمرسلين.

المطلب الثاني: الاستدلال بالقراءات لوجوب توقير الأنبياء والمرسلين.

إن من تمام تحقيق الإيمان بالله الإيمانَ برسله.

قال تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

قال ابن عطية: "ومعنى هذه الآية أنّ المؤمنين ليسوا كاليهود والنصارى في أنّهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض"[73].

قال ابن حزم: " توقير الأنبياء فرض على جميع الناس"[74].

بل إن معية الله وتكفير السيئات ودخول الجنات مترتب على توقير الأنبياء بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 12].

وعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ρ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» [75].

قال شيخ الإسلام معقبًا على الحديث: "وَالرِّوَايَة الصَّحِيحَة بِالْفَتْحِ أَي أَنْت خاسر خائب إِن لم أعدل إِن ظَنَنْت أَنِّي ظَالِم مَعَ اعتقادك أني نبي فإنك تجوِّز أن يكون الرسول الذي آمنت به ظالما وَهَذَا خيبة وخسران فَإِن ذَلِك يُنَافِي النُّبُوَّة ويقدح فِيهَا"[76].

---

(72) ابن تيمية: النبوات (2/ 883).

(73) ابن عطية : المحرر الوجيز (1/ 392).

(74) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 7).

[75] متفق عليه: أخرجه: البخاري/ صحيحه [كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام (4/ 200) ح(3610)]؛ ومسلم/ صحيحه [كتاب الزكاة/ باب ذكر الخوارج وصفاتهم (744/2) ح(1064)].

(76) ابن تيمية: دقائق التفسير (2/ 119).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإضافة إلى هذه الأدلة والمعاني فقد استدل الإمام ابن تيمية على ذلك بوجوه القراءات في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 161].

قال شيخ الإسلام: " وَفِيه قراءتان يَغُل ويُغَل [77] أَي ينْسب إِلَى الْغلُول بَين سُبْحَانَهُ أَنّه مَا لأحد أَن ينْسبهُ إِلَى الْغلُول كَمَا أَنه لَيْسَ لَهُ أَن يغل فَدلَّ على أَن النَّبِي لَا يكون غالاً ودلائل هَذَا الأَصْل عَظِيمَة لَكِن مع وقوع الذنب الذي هو بالنسبة إليه ذَنْب وَقد لَا يكون ذَنبا من غَيره مع تعقبه بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَار لَا يقْدَح فِي كَون الرجل من المقربين السابقين ولا الأبرار وَلَا يلْحقهُ بذلك وَعِيد فِي الْآخِرَة فضلا عَن أَن يَجعله من الفجار" [78].

وأفادت الآية بروايتيها صونَ الأنبياءِ لهذا المقام الجليل في ابتعادهم عن الكبائر, ووجوبَ فعل ذلك– صون مقام النبوة– من الناس تجاههم, والمراد فيما يظهر من قراءة ضم الياء أنه ما كان للناس كينونة شرعية أن يتعدوا على مقام النبوة لا كينونة كونية, بدليل ما تواتر في الكتاب والسنة من إيذاء المشركين للأنبياء والمرسلين.

(77)قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «أن يغلّ» بفتح الياء وضم الغين الباقون بضم الياء وفتح الغينالكنز في القراءات العشر (2/ 444)انظر: ابن القاصح: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (ص: 185).

(78) ابن تيمية: دقائق التفسير (2/ 119).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالثً: استدلاله بالقراءات لتنزيه النبي ρ وتقرير رفعة مكانته

إنّ رسول الله ρ هو خير الناس, وسيدهم كما ثبت عنه ρ أنه قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» [79] .

ويقول ابن كثير: " وقوله: هذا ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: 2]، هو المقسم عليه، وهو الشهادة للرسول، صلوات الله وسلامه عليه، بأنّه بار راشد تابع للحق، ليس بضال، وهو: الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم، والغاوي: هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره، فنزه الله I رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود، وعن علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه، بل هو صلوات الله وسلامه عليه، وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: 3] أي: ما يقول قولا عن هوى وغرض"[80].

وذِكْر الإمام الهمام ابن كثير لهذه الفوائد في هذه الآيات من تنزيه النبي باعتبار صدقه, وعدم جهله وغوايته, فطِن له شيخ الإسلام من آية واحدة بوجوه القراءات فيها, فقال:" وَقَدْ قَالَ فِي وَصْفِ الرَّسُولِ ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24]، وَفِيهَا قِرَاءَتَانِ [81]، فَمَنْ قَرَأَ ﴿بِظَنِينٍ﴾ أَيْ مَا هُوَ بِمُتَّهَمٍ عَلَى الْغَيْبِ بَلْ هُوَ صَادِقٌ أَمِينٌ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ.

وَمَنْ قَرَأَ ﴿بِضَنِينٍ﴾ أي ما هو ببخيل لا يبذله إلا بعوض كالذين يطلبون العوض على ما يعلمونه, فوصفه بأنه يقول الحق فلا يكذب ولا يكتم, وقد وصف أهل الكتاب بأنهم يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا وأنهم يشترون به ثمنا قليلا"[82].

ورسول الله ρ هو لبنة التمام ومسك الختام للأنبياء الكرام, فهو آخرهم ولا نبي بعده, وقد دل على ذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: 40]، وفي كلمة خاتم, قراءتان بفتح التاء– وهي قراءة عاصم– وبكسرها للبقية [83].

قال شيخ الإسلام في توجيهها: "لأنّه ختمهم؛ كما يُسمّى الماحي، والحاشر، والعاقب.

وقد قُرِيء: ﴿وَخَاتَمَ﴾ أي خُتِمُوا به" [84] .

---

[79] أخرجه: مسلم/ صحيحه [كتاب الفضائل/ باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق (1782/4) (2278)].

(80) ابن كثير: تفسيره ت سلامة (7/ 442وما بعدها).

(81)قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائيّ ورويس: «بظنين» بالظاء، الباقون بالضاد الواسطي المقرئ: الكنز في القراءات العشر (2/ 707)

(82) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (16/ 315).

(83) انظر: ابن الجزري: شرح طيبة النشر (ص: 297).

[84] ابن تيمية: النبوات (741/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الاستدلال بالقراءات للغيبيات

المطلب الأول: تعريف الغيبيات

قال ابن فارس: "الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، ثم يقاس, من ذلك الغيب: ما غاب، مما لا يعلمه إلا الله" [85] **قال الله تعالى:** ﴿ **إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ [المائدة: 109]. وفيها قراءتان[86].

"والغَيْبُ: كلُّ ما غاب عنك. تقول: غاب عنه غَيبةً وغَيبا وغِيابا وغُيوبا ومغيبا. وجمع الغائب غُيّب وغُيّاب أيضا"[87] والغيبيات جمع الغيب أَي مَا غَابَ عنْهم، مما أخبرهم به النبي ρ من أَمْرِ القبر البَعْث والجنَّة والنَّارِ والكرسي والعرش وكل مَا غَاب عَنْهُم مِمَّا أَنبأهم بِهِ فَهُوَ غيب [88] وقد امتدح الله تعالى في المؤمنين تسليمهم الكامل وإيمانهم المطلق بالغيب فقال Ψ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: 3].

المطلب الثاني: استدلال شيخ الإسلام لصفة المجد في حق عرش الرحمن:

إن الله تعالى مستوٍ على عرشه ينزل إلى السماء الدنيا دون أن يخلو منه عرشه وقد دلت النصوص على وجود العرش وأنه أعظم مخلوق خلقه الله, وثبت وصفه بصفاتٍ منها الكريم والعظيم [89]وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:14-16].

قال شيخ الإسلام: "وقد قرئ ﴿المجيد﴾ بالرفع صفة لله، وقرئ بالخفض صفة للعرش[90].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 86، 87].فوصف العرش بأنه مجيد وأنه عظيم.

---

(85) ابن فارس: مقاييس اللغة (4/ 403).

(86) بكسر الغين لشعبة وحمزة والباقون بالضم انظر ابن القاصح: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (ص: 203) ومحمد سالم: فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات (2/ 592).

(87) الجوهري: الصحاح (1/ 196).

(88) انظر الزبيدي: تاج العروس (3/ 497).

(89) انظر: أحمد ابن حنبل: الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 142), الذهبي: العرش (1/ 223)

(90) قرأ حمزة والكسائي وخلف «المجيد» من قوله تعالى: ذو العرش المجيد عكس ذلك: أي بخفض الرفع فيه على أنه صفة للعرش، والباقون بالرفع على أنه خبر آخر.ابن الجزري: شرح طيبة النشر (ص: 328)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: 116]، فوصفه بأنه كريم أيضا.

وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس ψ أن النبي ρ كان يقول عند الكرب: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ** »[(1)]، فوصفه في الحديث بأنه عظيم، وكريم أيضا"[(91)].

فاسم المجيد وصفة المجد في حق الله تعالى ثابتة في الوحيين، الكتاب والسنّة:

1 -أما من الكتاب، فقد وردت في موضعين اثنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: 73].

وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: 14-16]،في قراءة الضم.

2 -وأما من السنة:

عن حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: " **قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** "[(92)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: " **رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ** "[(93)].

قال ابن القيم: " ثم وصف نفسه بالمجيد وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها وعدم إحصاء الخلق لها وسعة أفعاله وكثرة خيره ودوامه"[(94)].

أما صفة المجد للعرش فدليلها قراءة الخفض فقط, ولم يقم دليل آخر في الكتاب ولا في السنة على وصف العرش بالمجيد فاستدلال شيخ الإسلام بهذه القراءة المتواترة أضاف معنًا لطيفًا وصفة جديدة للعرش الكريم العظيم المجيد, لم يقم دليل آخر غير هذه القراءة التي استدل بها على إثبات صفة المجد للعرش [(95)].

[(91)] ابن تيمية: الرسالة العرشية (ص: 9)

[(92)] متفق عليه: أخرجه: البخاري/ صحيحه [كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم (6360) (77/8)]، مسلم/ صحي[كتاب الصلاة، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعْدَ التَّشهُّدِ (407) (306/1).

[(93)] أخرجه: مسلم/ صحيحه [كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع (477) (1/ 347)].

[(94)] ابن القيم: التبيان في أقسام القرآن (ص: 94)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالثً: استدلاله بالقراءات لبيان استئثار الله بعلم الغيب

قال شيخ الإسلام:" أما قوله تعالى:﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 73] فهذه الآية فيها قراءتان وقولان مشهوران، ونحن نسلم قراءة من قرأ:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 7] لكن من أين لهم أن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله هو المعنى الذي عنى به المتكلم وهو مدلول اللفظ الذي قصد المخاطِب إفهام المخاطَب إياه وهو I لم يقل: وما يعلم معناه إلا الله، ولا قال: وما يعلم تفسيره إلا الله، ولا قال: وما يعلم مدلوله ومفهومه إلا الله، ولا ما دل عليه إلا الله، بل قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 7]، ولفظ التأويل له في القرآن معنى وفي عرف كثير من السلف بيان.

وفي التأويل وجهان، أحدهما: أنّه التفسير، **والثاني:** أنه العاقبة المنتظرة والراسخ الثابت"[96].

ثم استدل لاستئثار الله بالتأويل الذي هو مآل علم المتشابه ومرجعه إلى الله بقراءة ابن عباس ومعناها أن تأويل المتشابه عند الله، أما الراسخون فيسلمون لله بذلك ويقولون آمنا به, قال:" فهل يعلم الراسخون تأويله أم لا فيه قولان:

أحدهما: أنهم لا يعلمونه وأنهم آمنوا به، وقد روى طاوس عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ وَيَقُولُ الرَّاسِخُوْنَ في العِلْمِ آمَنّا بِهِ ﴾[97] وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس وعروة بن الزبير وقتادة وعمر بن عبد العزيز والفراء وأبو عبيد وثعلب وابن الأنباري والجمهور"[98]. وعلى هذا أكثر السلف ودليلهم الوقف عند قوله وما يعلم تأويله إلا الله.

ونقل ابن أبي حاتم لزوم الوقف عندها فقال:" إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا"[99]

ثم أكد شيخ الإسلام ما ذهب إليه بقراءات بعض الصحابة، **قال ابن تيمية** : "في قراءة عبد الله: إنْ تأويله إلا عند الله، وفي قراءة أبيّ، وابن عباس: ويقول الراسخون- واستدل لذلك بأمثلة من القرآن- فقال:" وقد أنزل الله في كتابه أشياء استأثر بعلمها كقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ [الأعراف: 187], قال ابن تيمية: "**قلت:** هذان القولان مرتبان على القولين في معنى التفسير فمن قال تأويله هو تفسيره فالراسخون يعلمون تفسيره ومن قال تأويله

---

(95) ذكر طائفة من السلف وصف العرش بالمجيد في كلامهم منهم الإمام مالك والإمام أحمد وكان يقول إن الله عز وَجل مستو على الْعَرْش الْمجِيد (انظر: بن حنبل :العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: 107) ورُوِيت آثار غير مرفوعة في وصف العرش بالمجيد . انظر: أبو الشيخ الأصبهاني: العظمة (4/ 1388)و (4/ 1436)

(96) ابن تيمية: تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (8/ 265)

(97) انظر: ابن أبي داود المصاحف (ص: 194) والنحاسمعاني القرآن (1/ 351)

(98)ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (8/ 266-267)

(99) ابن أبي حاتم: : تفسيره- محققا (2/ 599)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاقبته المنتظرة فهذا لا يعلمه إلا الله... فإن أحداً من السلف لم يذكر هذا المعنى في هذه الآية وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين، ولكن السلف لهم قراءتان وقولان، منهم من قال: التأويل لا يعلمه إلا الله، وهؤلاء لم يريدوا بذلك تفسيره، بل فسروا القرآن كله كابن الأنباري، والفراء، وغيرهما، وتكلموا على مشكله، بل أرادوا ما استأثر الله بعلمه بما يؤول إليه، والعلماء يعلمون تأويله، وهو التفسير، ولا منافاة بين القراءتين والقولين، ولم يقل أحد من السلف إن المتشابه كله مصروف عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره، وان ذلك المصروف إليه لا يعلمه إلا الله، بل هذا باطل من وجوه كثيرة"[100].

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾[الزخرف: 19].

" قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب ﴿ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ ﴾ بالنون, وقرأ الباقون (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) بالباء.

قال أبو منصور: مَنْ قَرَأَ (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) فهو جمع عَبْدٍ, ومن قرأ (عِنْدَ الرَّحْمَنِ) فمعناه: الذين هم أقرب إلى الله منكم"[101].

وأشار إلى هذا المعنى بإيراده للقراءة الأخرى التي تبين زيادة تنزيه للملائكة ورد على انتقاص المشركين لهم **فقال في مجموع الفتاوى** :" وقال في الذين يخبرون عن الملائكة أنهم إناث: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى ﴾ [النجم: 27] وهم جعلوهم إناثًا كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ وفي القراءة الأخرى ﴿**عِنْدَ**﴾ الرحمن ﴿إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: 19]، وهؤلاء قال عنهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[الأنعام: 116]"[102].

---

(100)ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (8/ 268-269)

(101) الأزهري: معاني القراءات (2/ 362)

(102) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (13/ 67)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وقد تمت الدراسة بفضل الله وحمده، وفي ختامها أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وهي على النحو الآتي:

- ابن تيمية عالم فذ، ولد ونشأ في بيت علم أبا عن جد، وله باع طويلة في جميع العلوم الشرعية، والتي منها علم القراءات القرآنية، وله في ذلك جهود بارزة.
- من أبرز ما اشتهر به ابن تيمية علم العقيدة، ولقد تنوعت استدلالاته لقضايا العقيدة، وكان منها استدلاله بالقراءات، حيث استدل بها للدفاع عن مقام النبوة والرسالة، وكذلك استدل بها لأنواع التوحيد، كما استدل للغيبيات.

فاستدل ابن تيمية بالقراءات للدفاع عن مقام النبوة والرسالة، شمل ثلاثة جوانب، وهي:

واستدل بالقراءات لأنواع التوحيد، وشمل أربعة جوانب، وهي:

- استدل بالقراءات لتوحيد الربوبية
- استدل بالقراءات لتوحيد الألوهية
- استدل بالقراءات لتوحيد الأسماء والصفات
- استدل للأسماء والصفات بالقراءات
- بيانه للقراءات في كلمة النبي, وترجيحه لأصل اشتقاقها.
- الاستدلال بالقراءات لوجوب توقير الأنبياء والمرسلين.
- استدلاله بالقراءات لتنزيه النبي ρ وتقرير رفعة مكانته .

واستدلبالقراءات للغيبيات، وشمل ثلاثة جوانب، وهي:

- تعريف الغيبيات
- استدل لصفة المجد في حق عرش الرحمن
- استدل بالقراءات لبيان استئثار الله بعلم الغيب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوصيات:

1 -نوصي بأن يُدرَّس مساقُ في القراءات منفرد للطلبة في الكليات الشرعية على الأقل لاسيما أصول الدين, راجين أن يأخذ شيوخُنا هذه التوصية بعين الاعتبار لأهميتها

2 -نوصى بأن يفرد المتخصصون دراسات في الاستدلال بالقراءات عند علماء العقيدة والمحدثين, والفقهاء وغيرهم, لا أن يقتصر الأمر على مناهج المفسرين في القراءات, وذلك لبيان ما أفادوه من اختلاف القراءات مما يؤثر إيجابًا في نشر علم القراءات.

فهرس المصادر والمراجع

1. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: 209هـ)، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، ط: 1381 هـ.
2. أبو محمد، عبدالله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبدالله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويق النجم الدين (المتوفى: 741هـ)، **الكنز في القراءات العشر**، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط: 1، 1425 هـ – 2004 م.
3. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، **معاني القراءات للأزهري** ، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، ط:1، 1412 هـ – 1991 م.
4. شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ.
5. أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: 316هـ)، **كتاب المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة، ط: الأولى، 1423هـ – 2002م.
6. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، **شرح طيبة النشر في القراءات**، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2، 1420 هـ – 2000 م.
7. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)،**زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 1 – 1422 هـ
8. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبدال رحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت.
9. التبيان في أقسام القرآن ، **محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
10. أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: 801هـ)، **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي** (وهو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: 3، 1373 هـ – 1954م.

11. أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2 (1420هـ ـ 1999م).
12. إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبد هشلبي، عالم الكتب – بيروت، ط: 1، 1408 هـ – 1988 م.
13. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3 – 1407 هـ.
14. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) ، ط: 2، 1415 هـ
15. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي
16. أبو عبد الله أحمد بن محمد، (ت: 241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1 (1421هـ ـ 2001م).
17. سليمان بن الأشعث، (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود** ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ـ صيدا.
18. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،(ت: 256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري)** ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1 (1422هـ).
19. أبو القاسم سليمان بن أحمد، (ت: 360هـ)، **المعجم الكبير** ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة، ط2.
20. أبو الحسن بن الحجاج القشيري، (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ρ (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
21. ت: مجموعة من المحققين : **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: 1، 1426هـ.
22. **ت: عزير شمس، جامع المسائل لابن تيمية، ت:** محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط: 1، 1422 هـ.
23. المكتب الإسلامي، **شرح حديث النزول**، بيروت، لبنان، ط: 5، 1397هـ/1977م
24. **ت:** محمد بن رياض الأحمد، **شرح العقيدة الأصفهانية**، المكتبة العصرية – بيروت ،ط: 1 – 1425هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

25. **ت:** أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، **العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة**، أضواء السلف – الرياض، ط: 21420هـ / 1999م
26. **ابن تيمية: الرسالة العرشية**، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط: 1، 1399هـ
27. **ابن تيمية: الرد على المنطقيين**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط، 1.
28. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م.
29. عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ)، **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، مكتبة السوادي للتوزيع، ط: 4، 1412 هـ - 1992م.
30. أبو محمد مكيين أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط: 1، 1429هـ - 2008م.
31. ت: د. محمد السيد الجليند، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط: 2، 1404.
32. **ت:** عبد العزيز بن صالح الطويان، **النبوات**, الأضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ/2000م.
33. عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، **الرد على الجهمية والزنادقة، ت:** صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط: 1.
34. صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية، ت:** شعيب الأرنؤوط – عبدالله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: 10، 1417هـ - 1997م.
35. محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: 1395هـ)، **شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية**، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، ط: 3، 1415هـ.
36. شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية** ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: 2- 1402 هـ - 1982 م .
37. محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)،**الرسالة المفيدة، ت:** محمد بن عبد العزيز المانع، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

38. محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، **كشف الشبهات** ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1418هـ.
39. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، (ت: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ط (1399هـ ـ 1979م).
40. أبو الحسين أحمد، (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط (1399هـ ـ 1979م).
41. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ت: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط: 1، 1420 هـ – 1999 م
42. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27 , 1415هـ /1994م
43. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، **العقيدة رواية أبي بكر الخلال، ت:**عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة – دمشق، ط: 1، 1408.
44. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخانجي – القاهرة.
45. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، **العرش**، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1424هـ/2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com